مقدّمـــــــــة:

جنح النقد الجزائري في العشرين سنة الأخيرة إلى العمل التطبيقي، ونقصد بهذا الأخير الدراسات النقدية الّتي تُعنى بقضايا جزئية يُشتغل عليها استنادا إلى منجزات المدارس النقدية المعاصرة، الّتي استثمرت إلى حدّ بعيد إفرازات الدرس اللساني بكلّ تفرّعاته، غير أنّ الدقة تفرض على الباحث إعمال الاستثناء، حيث عُنيَت بعض الدراسات بالأدب، أو بلون من ألوانه عناية تتجاوز الجزء إلى الكلّ.

لقد عرفت الرّواية الجزائرية المكتوبة بالعربية، تراكما في الكمّ والكيف، ويستحقُّ هذا التراكم المزيد من اهتمام الدرس النقدي، ولكنّ واقع النقد الجزائري يُثبت أنّ شقّه المهتم بالرّواية الجزائرية يظلّ قليلا مقارنة بالطفرة الكمية على الأقل.

إنّ أهمّ سبب دفعنا إلى اختيار البحث في الرّواية المكتوبة بالعربية في الجزائر، هو الميل الشخصي لقراءة الرّواية إبداعا ونقدا، بالإضافة إلى اشتغالنا سابقا على النقد الروائي الجزائري ثمّ المغاربي من خلال نماذج معينة في مرحلتي الليسانس والماجستير، مع ضرورة الإشارة إلى رغبتنا الكبيرة في تقديم عمل يُصنِّف الرّواية الجزائرية، استنادا إلى محمولاتها وشكلها، لأنّ النص الروائي الجزائري لم تُحَدَّد اتجاهاتُ الكتابة فيه منذ سنوات رغم تطوّره الكمي كما أشرنا سابقا، باستثناء دراسات تُعدّ على الأصابع، بالإضافة إلى ضرورة رصد بيبليوغرافيا الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية لأن القراءة البيبليوغرافية مهمّة لتعليم الأدب بصفة عامة والتعريف به.

لا جرم أنّ القراءة الأولية الموسعة تثير الكثير من الاستفسارات في ذهن القارئ، إذ تمكّنه من ارتياد عوالم النص كما في بدء الخليقة الإبداعية، دون مُوجّه يحرمه لذّة بناء انطباعه الأولي حوله ، وهي القراءة نفسها الّتي أثارت الكثير من الإشكاليات أهمّها : هل تتمتع الرّواية الجزائرية المكتوبة بالعربية في الفترة ما بين (1990/ 2010) بتراكم يجعلها تقبل التصنيف إلى اتجاهات جديدة غير تلك الّتي عرفتها في المراحل السابقة؟ وما الاتجاهات الروائية الّتي اجتذبت كُتّاب الرّواية الجزائرية؟ وما مدى التطور الكمّي الحاصل في المنجز الروائي الجزائري المكتوب بالعربية؟...

وقد قسمنا هذا الكتاب أربعة أقسام:

خصص القسم الأول لرصد تطوّر الرواية المكتوبة بالعربية في الجزائر من الناحية الكمية في الفترة ما بين (1990/ 2010)، بالإضافة إلى دراسة ثانية تتبّعنا من خلالها بيبليوغرافيا الرواية النسائية الجزائرية المكتوبة بالعربية في الفترة ما بين (1970/ 2015) ، وأفرد القسم الثاني لمعالجة قضايا ذات صلة بالنقد وتصنيف النص الروائي، من خلال الإشارة إلى تعريفات التصنيف وأهميته بالعودة إلى مسألة الأجناس الأدبية، مع تخصيص محطة للحديث عن الجهود الغربية في تصنيف النص الروائي، ثمّ عرّجنا على الإسهامات العربية في هذا الباب، وختمنا هذا القسم بذِكر أهمّ المحاولات التصنيفية في النقد الروائي الجزائري.

أمّا القسم الثالث وهو أطول أقسام الكتاب، فقد اشتغلنا في ثناياه على بعض اتجاهات الرواية المكتوبة بالعربية في الجزائر، وأولها اتجاه (رواية استحضار التاريخ) الّذي قسّمناه إلى نوعين : رواية استحضار التاريخ، والرّواية التاريخية، واشتغلنا على روايات (ذاكرة الجسد) لأحلام مستغانمي، و(مذنبون .. لون دمهم في كفي) للحبيب السايح، و(شارع إبليس) لأمين الزاوي ضمن الاتجاه الفرعي (رواية استحضار التاريخ)، في حين درس في اتجاه الرّواية التاريخية نصا واحدا هو (كتاب الأمير .. مسالك أبواب الحديد) للروائي واسيني الأعرج.

أمّا الثاني فهو اتجاه (رواية الأنا)، وقُسِّم إلى نوعين (رواية السيرة الذاتية)، حللنا من خلاله روايتي (الحفر في تجاعيد الذاكرة) لعبد الملك مرتاض، و(الولادة الثانية) لعمر البرناوي، أمّا النوع الثاني فَحُلِّلت خلاله نصوص صُنِّفت على أنّها روايات تخييل ذاتي، وهي (هوس) لاحميدة عياشي، و(دم الغزال) لمرزاق بقطاش، و(أنثى السراب) لواسيني الأعرج.

في حين كان الاتجاه الثالث (رواية الخيال العلمي)، وقد اشتغلنا من خلاله على روايتين هما (جلالته الأب الأعظم) للروائي حبيب مونسي، و(أمين العلواني) لفيصل الأحمر.

وأمّا القسم الرابع والأخير من الكتاب فعبارة عن بحث مستقل عنوانه تمظهرات حوار الحضارات وعلاقة الأنا بالآخر في الرّواية الجزائرية، قراءة في نص (كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك) للروائي عمارة لخوص.

وقد اعتمدنا لحظة إنجاز هذا العمل على منهج قوامه وصف المادة الّتي تيسر الحصول عليها، مع إعمالنا بعض الآليات التحليلية الّتي أفرزها النقد المعاصر .

غير أنّ كلّ بحث تعترضه صعوبات، قد تكثر أو تقلُّ بالنظر إلى طبيعة البحث وظروف إنجازه، وفيما تعلّق بهذا البحث فقد كانت أبرز مشكلة واجهتنا خلاله مشكلة جمع النصوص الروائية الصادرة ما بين 1990و2010، وهي العملية الّتي أتت على أكثر من نصف مدّة إنجازه، خاصة في ظلّ العوائق المتعلّقة بنشر وتوزيع الكتاب في الجزائر، بالإضافة إلى اشتغاله على بعض الروايات الّتي لم تُدرَس من قبل، دون أن ننسى صعوبة أن ينتقل الباحث في كل مرة من موضع إلى آخر لا يشبهه، ما يعني تقديم أكثر من محطة تنظيرية في كلّ قسم.

إنّ أهمّ المصادر المساعدة في إنجاز هذا العمل بالإضافة إلى النصوص الروائية هي الدراسات الّتي سبقتنا في معالجة موضوع البحث، بالإضافة إلى كتاب (الرّواية العربية وإشكاليات التصنيف) لساندي سالم أبو سيف، وكتاب (الرّواية المغربية وقضايا النوع السردي) وهو عبارة عن أعمال ندوة، و(معجم السرديات) الّذي أشرف عليه الناقد محمد القاضي، ودراسات أخرى كثيرة...

وفي الأخير لابد من القول إنّ هذا العمل لا يدعي التفرّد فهو مجرّد محاولة يأمل صاحبها أن تضيف شيئا إلى البحث العلمي المهتم بالرّواية الجزائرية ونقدها، والحقّ أنّ هذا العمل ما كان ليتمّ لولا الجهود الكبيرة الّتي قدّمها **الأستاذ الدكتور بلوحي محمد**، على اعتبار أنّ **جلّ مادة هذا الكتاب مأخوذة من رسالة دكتوراه** أشرف عليها، عنوانها (الرواية المكتوبة بالعربية في الجزائر..اتجاهاتها وقضاياها الفنية (1990-2010)) . ونوقشت بجامعة سيدي بلعباس في الجزائر بتاريخ 10 جوان 2014، من قبل لجنة أعضاؤها الدكاترة الأفاضل (مخلوف عامر، وبلقندوز هواري، ومباركي بوعلام وقندسي عبد القادر، وفتحي محمد)، فلهم خالص الشكر والتقدير.

ولا يفوتني هنا أن أسجل خالص المحبة والتقدير والاحترام للأستاذ الدكتور مخلوف عامر الّذي حباني برعايته مذ التحقت بالجامعة، خريف سنة 2002.

عين البيضاء-ذوي ثابت/ سعيدة : 01

مارس 2016. **فايد محمّد**